﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ١٨﴾ [الأنعام: 18]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

رَبطُ قُدرة الله على النّفعِ والضّرِّ، بقهرِه فوقَ العباد، كما شاءَ وأرادَ

بعدَ أن أثبتَ في الآيةِ السّابقةِ لجلالِه سُبْحانَهُ، كمالَ القدرةِ، تابعَ الكلامَ بما هو مُكمِّلٌ له ومؤيِّدٌ، فأثبتَ له في هذه الآيةِ كمالَ السُّلطان، فقالَ: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾، فيضعُ الأمورَ حسبَ الحكمةِ البالغةِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ٱلۡقَاهِرُ﴾: جذرُ الكلمةِ هو (قَهَرَ) قهره، كمَنَعَهُ[2]، ويقالُ: قَهَرَهُ؛ إذا أخذَه قهرًا من غيرِ رضاه[3]، والقهرُ: الغلبةُ والأخذُ من فوقٍ على طريقِ التَّذليلِ، والقهّارُ: من صفاتِ اللّه تعالى[4]، واللّهُ القاهرُ القهّارُ[5]..

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

كمالُ سُلطانِ اللهِ وغلبتِه، وخُضوعُ الخلائقِ لهُ

اللّهُ تعالى هو الغالبُ على عبادِه المُذَلِّلُ لهم بقدرتِه، المُستعلي فوقَ عبادِهِ من كلِّ وجهٍ الَّذي لا يُعْجِزُهُ شيءٌ، ولا يغلبه أحدٌ، الجميعُ له خاضعون، يدبِّرُ أمرَهُم بما يُريد، فيقعُ في ذلك ما يَشُقُّ عليهم، ويثقلُ، ويغمُّ، ويحزنُ، فلا يستطيع أحدٌ منهم ردَّ تدبيرِه، والخروج من تحتِ قهره وتقديرِه، وهو الحكيمُ في خَلْقِهِ وتدبيرِه وشَرْعِه، الخبيرُ فلا يخفى عليه شيءٌ[6].

(1) الموصلّي، أولى ما قيل: 3/294.
(2) ابن سيده، المُحكم، والزّبيدي، تاج العروس: (قهر).
(3) الزّبيدي، تاج العروس: (قهر).
(4) الخليل، العين، وابن سيده، المُحكم: (قهر).
(5) الخليل، العين: (قهر).
(6) جماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 129.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ تذييلِ الآية ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ﴾ لما قبلَها:

بيانُ عظيمِ قُدرةِ اللهِ وقَيّوميَّتِهِ، عـلى الأحـــداثِ كلِّها

هذه الجملةُ معطوفةٌ على جملةِ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾، والمناسبةُ بينهما أنَّ مضمونَ كلتيهما يبطلُ استحقاقَ الأصنامِ العبادةَ، فالآيةُ الأولى أبطلت ذلك بنفي أن يكونَ للأصنامِ تصرُّفٌ في أحوالِ المخلوقات، وهذه الآيةُ أبطلت أن يكونَ غيرُ اللهِ قاهرًا على أحدٍ، أو خبيرًا أو عالمًا بإعطاء كلِّ مخلوقٍ ما يُناسبه، ولا جرمَ أنَّ الإلهَ تَجِبُ له القدرةُ والعلمُ، وهما جماعُ صفاتِ الكمالِ، كما تجبُ له صفاتُ الأفعالِ من نفعٍ وضرٍّ وإحياءٍ وإماتةٍ، وهي تعلُّقاتٌ للقدرةِ، والآيةُ بمجملها تذييلٌ لما سبقها من آياتٍ تدلُّ على عظيمِ قدرةِ الله، وقيّوميَّتِهِ، ومُلكِهِ، وسَعَةِ خَلقِهِ، وتدبيرِهِ.

وجهُ ذكرِ العامِّ بعد الخاصِّ:

كُلُّ النّاسِ داخلٌ تحت قُـدرتِـهِ، وهـو الـغـالـبُ لكلِّ غالبٍ

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾؛ إذ تُنَزَّلُ هذه الآيةُ من الَّتي قبلها منزلةَ التَّعميمِ بعد التَّخصيصِ ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ﴾؛ لأنَّ التي قبلَها ذكرت كمالَ تصرُّفِهِ في المخلوقاتِ، وجاءت بهِ في قالبِ تثبيتِ الرَّسولِ ﷺ كما قدَّمنا، وهذه الآيةُ دلَّت على قدرتِهِ على كلِّ شيءٍ وعلمِهِ بكلِّ شيءٍ، وذلك أصلُ جميعِ الفعلِ والصَّنعِ.

دلالةُ القَصْرِ، في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾:

تفرُّدُ اللهِ بالقهرِ والغلبةِ وحـدَهُ دون سِواهُ

والقاهرُ: الغالبُ المُكرِهُ الَّذي لا ينفلتُ من قُدرتِهِ من عدّي إليه فعلُ القهرِ، وقد أفادَ تعريفُ الجزأين القَصرَ، أي: لا قاهرَ إلّا هو؛ لأنَّ قهرَ اللهِ – تعالى – هو القَهْرُ الحقيقيُّ الَّذي لا يجدُ المقهورُ منه ملاذًا؛ لأنَّهُ قَهَرَ بأسبابٍ لا يستطيعُ أحدٌ خلقَ ما يُدافعها، وممّا يشاهدُ منها دومًا النَّوم والموت، سبحان من قهرَ العبادَ بالموتِ[1]،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/164.

والقَصرُ يفيد تمكنَّهُ من عبادِهِ على وجهِ الغلبةِ، وفيه إيجازٌ بنفي هذه الصِّفةِ عن سِواه.

بلاغةُ الاستعارةِ التَّمثيليَّةِ، في قولِهِ تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾:

الحقُّ ، سبحانه ، له عُـلـوُّ القَـهْـرِ والـقَـدْرِ، ليس كمثلِهِ شيءٌ

و﴿فَوْقَ﴾: ظرفٌ متعلَّقٌ لـ ﴿ٱلْقَاهِرُ﴾، وهو استعارةٌ تمثيليَّةٌ لحالةِ القاهرِ بأنَّهُ كالذي يأخذُ المغلوبَ من أعلاه، فلا يجدُ معالجةً ولا حَراكًا، وهو تمثيلٌ بديعٌ، ومنه قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: 127]؛ فقد "تضمَّنتِ الجملةُ تصويرًا لقهرِهِ وعلوِّهِ بالغلبةِ والقدرةِ[1]. وذكر علماءُ التفسيرِ أنَّ الفوقيَّةَ هنا مجازٌ، فهو سبحانه فوقَهم بالإيجادِ والإعدامِ. على حذفِ مضافٍ معناه فوقَ قهرِ عبادِهِ بوقوعِ مُرادِهِ دون مُرادِهِم[2]، أو هي صفةُ الاستعلاءِ الَّذي للّه - تَعالَى - الَّذي يعرفهُ أهل السُّنَّةِ، والصَّوابُ أنَّ المرادَ المعنيان جميعًا: فوقيَّةُ المكانِ، وفوقيَّةُ المكانةِ، وعليه فيكونُ المعنى: وهو القاهرُ فوق عبادِهِ من حيثُ المعنى لا يمكنُ أن تغلبه قوَّةٌ، ومن حيثُ المكانُ فاللّهُ - ﷻ - فوقَ كلِّ شيءٍ[3]. و﴿فَوْقَ﴾: منصوبٌ على الظَّرفِ إمّا معمولًا للقاهرِ، أي: المُستعلي فوقَ عبادِهِ تصويرًا للقهرِ والعلوِّ بالغلبةِ والقدرةِ، كقوله: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: 127][4]. وإمّا أن تكون ﴿فَوْقَ﴾ في موضعِ رفعٍ على أنَّه خبرٌ ثانٍ لـ (هو)، أخبرَ عنه بشيئين أحدهما: أنَّه القاهرُ، والعربُ تستعملُ (فَوقَ) إشارةً لعلوِّ المنزلة وشفوفِها على غيره من الرُّتَبِ، ومنه قوله: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: 10]، وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف: 76]. الثّاني: أنَّه فوق عبادِهِ بالرُّتبةِ والمنزلة والشَّرف؛ إذ هو الموجد لهم وللجهةِ غير المفتقر لشيءٍ من مخلوقاتِهِ، فالفوقيَّةُ مستعارةٌ للمعنى

(1) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/156.
(2) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/457.
(3) السمعاني، تفسير القرآن: 2/93، والعثيمين، تفسير القرآن الكريم (سورة الأنعام): 83.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/12.

من فوقيَّةِ المكان، وحكى المهدويُّ أنَّهُ في موضعِ نصبٍ على الحال، كأنَّه قال: وهو القاهرُ غالبًا فوقَ عبادِه، وقاله أبو البقاءِ، وقدَّرَهُ مستعليًا أو غالبًا، وأجاز أن يكون فوقَ عبادهِ في موضعِ رفعٍ بدلًا من القاهرِ[1].

علَّةُ ذِكْرِ الخاصِّ وإرادة العامِّ، في قوله تعالى: ﴿فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾:

العبادُ مملوكونَ لـلـهِ، وتحت قَهرِهِ ومَشيئتِهِ

و(العبادُ): هُمُ المخلوقون من العقلاءِ، فلا يقالُ للدَّوابِّ عبادُ اللهِ، وهو في الأصل جمعُ (عبد)، لكنَّ الاستعمالَ خصَّهُ بالمخلوقات، وخصَّ العبيدَ بجمع (عبد) بمعنى المملوكِ. فذكَرَ العبادَ بمعنى: العُقلاء، وأراد العُقلاءَ وغيرهم، ومعنى القَهرِ فوق العباد: أنَّهُ خالقُ ما لا يدخلُ تحت قدرتِهم بحيثُ يوجد ما لا يريدون وجودَه كالموتِ، ويمنعُ ما يريدون تحصيلَه كالولدِ للعقيم، والجهلِ بكثيرٍ من الأشياءِ، بحيثُ إنَّ كلَّ أحدٍ يجدُ في نفسِه أمورًا يستطيعُ فعلَها وأمورًا لا يستطيعُ فعلَها، وأمورًا يفعلها تارةً، ولا يستطيعُ فعلها تارةً، فيعلم كلُّ أحدٍ أنَّ اللهَ هو خالقُ القَدَرِ والاستطاعات[2].

بلاغةُ اقترانِ الاسمينِ الكريمين: ﴿ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾:

مـقـامُ الـقَـهـرِ والـغَـلَـبَـةِ، يـتـنـاسـبُ مع صِفتَيِ الحكيمِ الخبيرِ

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ إشارةٌ إلى كمال القدرةِ، ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ إشارةٌ إلى كمال العلم، أمّا كونُه قاهرًا؛ فلأنَّ ما عداه تعالى مخلوقٌ من مخلوقاتِه سبحانه.

و ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ بمعنى المُحكِم و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ دالٌّ على مبالغةِ العلم، وهما وصفانِ مناسبانِ لنمط الآية[3]. و﴿ٱلْحَكِيمُ﴾: المُحكِمُ المُتقنُ للمصنوعاتِ، فعيلٌ بمعنى مُفعِل. و﴿ٱلْخَبِيرُ﴾: مبالغةٌ في اسمِ الفاعل من (خبر) المتعدي، بمعنى (عَلِمَ)، يقال: خبِرَ الأمرَ؛ إذا

(1) أبو حيّان، البحر المُحيط: 4/457 - 458.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/164.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/323.

عَلِمَه وجرَّبَهُ[1]. والحكمةُ تدلُّ على أنَّهُ عِلمٌ مُحكَمٌ، فقهرُ اللّهِ لعبادِهِ بقدرتِهِ وحكمتِهِ، وهو خبيرٌ سبحانه بما يحتاجُ إليه هذا الخلقُ وما يناسِبُه؛ إذ خلقَ السّماواتِ والأرضَ على أدقِّ ما يمكنُ أن يتخيَّلَهُ العقلُ البشريُّ، ممّا يضمنُ استقرارَ هذا الكونِ وانسجامَهُ، وكلُّ ذلك يفوتُ لو قيل: الحَكيمُ العَليمُ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(عبادٌ) و(عبيدٌ):

(العبادُ) يَرِدُ في التَّفخيمِ والكرامةِ، و(العبيدُ) في التَّحقيرِ والاستضعافِ والذَّمِّ

لفظُ (العباد) يردُ في التَّفخيمِ والكرامةِ، و(العبيد) في التَّحقيرِ والاستضعافِ والذَّمِّ، قال ابن عطيَّةَ: و(العبادُ) بمعنى (العَبيدِ)، وهما جمعان (للعبد)، لكنَّ الواقعَ أنَّ ورودَ لفظةِ العبادِ في القرآنِ وغيرِهِ في مواضعِ تفخيمٍ أو ترفيعٍ أو كرامةٍ، وورودُ لفظةِ العبيدِ في تحقيرٍ أو استضعافٍ أو قصدِ ذمٍّ[2]، والصَّواب أنَّ العبدَ بمعنى الإنسان المخلوقِ المملوكِ للّه، ومثناها وجمعُها: (عباد) و(عبيد) ليس لأيٍّ منها تمييزٌ إلّا ما يقضي به السّياقُ من اختصاصٍ للتَّكريم في مثل قوله: ﴿أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: 1]، و﴿نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا﴾ [البقرة: 23]، و﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ﴾ [مريم: 2]. وفي بعضِ سياقاتِ الآياتِ ما يقضي بعمومِ اللَّفظِ، مثل قوله: ﴿رِّزۡقٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [ق: 11]، و﴿إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ﴾ [نوح: 27]، و﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ﴾ [يس: 30]، و﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ١٨﴾ [غافر: 48][3]، وأمّا العبيدُ، فتطلقُ على من استعبدهُ البشرُ أو غيرهم، أو من جعلَ نفسَهُ عبدًا لغيرِ اللّهِ من البشرِ والحيواناتِ والأموات والأصنامِ والشَّياطينِ وغيرِهم.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/165.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/323.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (عبد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العاشر، سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 10 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-62-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 10 : سورة المائدة من الآية 107 إلى سورة الأنعام الآية 58.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-62-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7560922 بتاريخ 2023/12/18م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»